تحديات عولمة الاعلام
وسبل المواجهة

د. مظفر مندوب العزاوي

اولاً: التمهيد:

تمخضت عن المتغيرات الدولية المتلاحقة في الميادين الاقتصادية والسياسية والثقافية وغيرها العديد من الظواهر التي احتلت مواقع متباينة من الاهتمام والمتابعة والدراسة والتحليل من قبل المختصين والباحثين وخاصة في ظل التطورات الاعلامية المتسارعة في الخريطة الاتصالية العالمية.

فكانت هناك ظاهرة "تفجير المعلومات" المتمثلة في استخدام الحاسب الالكتروني في تخزين واسترجاع خلاصة ما انتجه الفكر البشري في أقل حيز متاح وباسرع وقت ممكن[1] والتي تعتبر "الانترنت" شبكة المعلومات الدولية من ابرز مظاهرها والتي اتسع نشاطها و تضاعف دورها المعلوماتي في عملية الاتصال الدولية في مختلف العلوم والفنون ثم انتشرت ظاهرة "البث الفضائي المباشر" التي جعلت العالم قرية صغيرة الكترونية كما قال عالم الاتصال الكندي "مارشال ماكلوهان" انما تحولت الى بيت صغير بل الى شاشة صغيرة.

ولكن رغم ما عكسته هذه الظواهر وغيرها في الميدان الاتصالي من تطور وتغيير في آليات التعامل بين المجتمعات الدولية لكنها افرزت في الوقت نفسه ظاهرة الاختلال في تصنيع وتوزيع وتوظيف المعلومات وتقنياتها كانت ارجحيتها لصالح بلدان لايتجاوز عددها اصابع اليد الواحدة مقابل اخرى يتجاوز عددها المائة والثمانون دولة.

كل هذه الظواهر مجتمعة وما يتصل بها معنى واسلوباً وهدفاً دخل في بودقة واحدة اطلق عليها "عولمة الاعلام" التي اتخذت لها صيغاً واسلحة مختلفة باتت تشكل تحدياً للبلدان التي ما تزال في وضع اعلامي لاتحسد عليه بسبب تواضع امكانياتها التقنية والبشرية مقابل بلدان تتفوق عليها بهذه الصناعة بكل خلفياتها واستخداماتها والاهداف المرسومة لها, وهنا تكمن عملية التحدي الاعلامي المتدفق من الخارج.

ويأتي بحثنا لتسليط الضوء على مايشكله هذا التحدي من انعكاسات على البلدان التي تتعرض له من خلال الكشف عن الحلقات الغامضة التي تحيط بمفهوم العولمة من وجهة نظر

عامة وعولمة الاعلام من وجه التحدد, هذه الظاهرة وافرازاتها قد اصبحت هاجس العصر ومنطلقاً للعديد من الافكار والدراسات والمعالجات التي تناولتها بمختلف مفاهيمها واتجاهاتها ووظائفها اضافة الى الكشف عن ما هو جديد في ميدان عولمة الاعلام وما تشكله من تحديات على البلدان المستهدفة منها , فقد اصبحت عولمة الاعلام باساليبها ووسائلها واهدافها تشكل باستخداماتها وانعكاساتها السلبية على وجه التحديد خطراً يهدد الواقع الاقليمي والامني للبلدان التي تتعرض لمخاطرها وخاصة بلدان العالم الثالث التي تتدفق اليها من جانب واحد كميات هائلة من المعلومات والبرامج المتلفزة مصدرها بلدان الشمال المصنعة والمصدرة لها وهدفها بلدان الجنوب المستقبلة والمستهلكة لهما. الامر الذي يشكل اختلالاً في تبادل المعلومات نوعاً وكماً بين تلك البلدان لصالح البلدان المتطورة وهذا الاختلال بدوره اصبح يشكل وحده احدى مظاهر ومخاطر عولمة الاعلام في عصرنا الراهن على المجتمعات التي ما تزال في وضع لايسمح لها مواكبة ما يجري من تطورات تقنية في ميادين الاتصال, الهيمنة فيها لعدد محدد من البلدان المتطورة وخاصة من خلال البث الفضائي وما تمخض عنه من استحداث لمئات القنوات الفضائية الوافدة هذه المشكلة وتفاعلاتها ومعالجاتها ستخضع لمتطلبات هذا البحث ومن خلال المحاور الاتية:

اولاً: التمهيد.

ثانياً: تعريف المفاهيم.

ثالثاً: تحديدات عولمة الاعلام وظاهرة الاختلال في تبادل المعلومات.

رابعاً : تحديات عولمة الاعلام وانعكاساتها على بلدان العالم الثالث وسبل المواجهة.

خامساً: الخاتمة.

ثانياً: تعريف المفاهيم:

تقتضي الضرورة العلمية في كتابة البحوث على محاورها واهدافها تحديد وتعريف ابرز المفاهيم والمصطلحات المستخدمة فيها من اجل ازالة الغموض الذي يكتنف استخدامها وتوظيفها في الاتجاه الذي يخدم مقتضيات البحث واجراءاته والنتائج التي يمكن ان يتمخض عنها وفي اطار الخطة المرسومة لبحثنا وجدنا ان ابرز هذه المفاهيم تكمن فيما يأتي:

1- العولمة من وجهة نظر عامة.

2- التحديات الاعلامية.

3- عولمة الاعلام.

1- العولمة من وجهة نظر عامة:

اختلف الباحثون والمهتمون بـــموضوع العولمة في تحـــديد مفهوم واضح وثابـــت ومتماثل للعولمة فقال البعض انه العالم الجديد المتداخل الذي يذوب فيه الجزء في كل عالمي . وقال آخرون انه سقوط الحواجز والحدود فالكل اصبح عالمياً والعالم أصبح قـــرية صغيرة .. وقال فريق ثالث بل هو الاستعمار وسيطرة الاقوى على الاضعف تحت اســـم التحـــرير والسوق المفتوحة . فهناك اكثر من خمسمائة شركة متعددة الجنســـيات تســـيطر على معظم اقتصاد العالم , وهناك منظمات مثل منظمة التجارة الدولية وصندوق النقد الدولي تفوق سلطة كل منها سلطة الدولة القطرية[2] فنحن في عالم ســـريع التغير في انماط واشـــكال العلاقـــات الدولية وآلياتها , فالعولمة لم تعد مصطلحاً اقتصادياً محضاً بل اصبحت نظام يراد له ان يعمم على المستوى العالمي ليشـــمل جميع مجالات المال والتســـويق والمبـــادلات والاتصال في المجتمعات اضافة الى مغزاه السياسي والفكري والامني والعسكري.

ونحن لانريد الخوض في التفاصيل العميقـــة والعديدة المتمثلة احـــياناً والمختلفة في احياناً اخرى حول واقع مفهوم العولمة.

فالامر الذي يعنينا في في اطار بحثنا ماذا تشـــكل العولمة من تحـــدي عندما تخترق الحدود والعقول وتربك حياة المجتمعات اذا وظفت في الاتجاه الذي يتناقـــض مع متطلبـــات الشعوب الاخرى على غرار ما تخطط له الولايات المتحـــدة الامريكية لتصدير النمط الذي تريد فرضه على الاخرين اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً مستخدمة وســـائل الاتصال بكل قنواتها وطاقاتها باتجاه امركة الالم تحت ستار العولمة التي تعتبرها نمطاً حضارياً جديداً يجب تصديره الى العالم ولكن على الطريقة الامريكية التي تعني في النتيجة اختراق الحدود والتدخل في شؤون البلدان الاخرى من خلال ســـلاح العولمة او الامركة او ســـلاح القـــوة العســـكري الوجه للامركة اذا لم تجد آذاناً صاغية لما تريد او عقـــولاً تســـهلُ عملية الهيمنة عليها.

2- التحديات الاعلامية:

المقصود بالتحديات الاعلامية على وفق متطلبات البحث الذي نحن بـــصدد انجازه وهذا الكم من المعلومات المتدفقة من الخارج حول الاحـــداث والتطورات الدولية و خلفياتها ومستجداتها والتي اصبحت في ظل ثورة الاتصالات الحديثة تنقل مباشرة من مواقع حدوثها

من خلال القنوات الفضائية الامر الذي جعل بلدان العالم الثالث في وضع المستهلك فقط لهذه المعلومات مع استثناءات محددة بهذا الشأن نشير اليها لاحقاً , وان البث الفضائي الوافد قد ساهم في زيادة حجم الرسائل الاعلامية المتدفقة من الخارج كماً ونوعاً واضاف اليها سمات الحالية في النقل والعرض والسرعة والقدرة على الانتشار والتأثير وعلى وفق ما متوفر امامها من امكانيات ابداعية في صياغة اسلوبها وجمالية عرضها وتوقيتات واهداف توجهها[3].

3- عولمة الاعلام:

بدء نشير الى ان مفهوم عولمة الاعلام يكمن من خلال تصدير الافكار والافلام والبرامج الاخبارية والثقافية والدرامية وغيرها في اطار عملية الاختراق الاعلامي والثقافي التي تتدفق من دول الشمال الى دول الجنوب والتي تبدو مظاهرها في الاستخدام المكثف و الواسع والموحد لمنظمات الاعلام المعقدة بعضها ببعض حيث وصفت تكنلوجيا الاعلام في عصرنا الراهن انها ترسم اليوم حدود المجال الاقتصادي و السياسي من خلال و سائل الاتصال الالكترونية , وبذلك يمكن القول ان عولمة الاعلام دخلت ما يعرف بـ" الفضاء السيبرنيتي " وهو وطن جديد لاينتمي الى الجغرافية ولا الى التاريخ هو "وطن "بدون حدود وبدون ذاكرة وبدون تراث انه " الوطن "الذي تبنيه شبكات الاتصال و المعلوماتية الالكترونية " الفضاء السيبرنيتي "[4] نسبتاً الى السيبرنيتك وهو العلم الذي يدرس طرق تدفق المعلومات ومراقبتها عند الكائنات الحية داخل الاجهزة الآلية والمنظومات الاجتماعية والاقتصادية.

وفي ظل التطور التقني لتبادل المعلومات والبث المباشر عن طريق الاقمار الصناعية اصبحت المراقبة مستحيلة في مجال الاتصال والاعلام والثقافة اذ لم يعد للدولة في هذا المجال سوى خيال واحد هو تسهيل الاتصال وتدفق المعلومات لفائدة الشبكات العالمية والعمل على تطوير قاعدة انتاجها الوطني كماً ونوعاً واستحداث قنوات فضائية تستجيب الى اهتمامات الجمهور ثقافياً وترفيهياً واعلامياً وخاصة تطوير التغطيات الاخبارية سياسياً ورياضياً.

اضافةً الى التطور انتاج الدراما الوطنية, ولكن لايعني هذا الخضوع لهيمنتها انما هناك خيارات اخرى سوف نسلط الضوء عليها من خلال مجريات بحثنا يأتي في مقدمتها تطوير الامكانيات الذاتية للبلدان التي تتعرض لمخاطر العولمة الاعلامية وتحدياتها في المجالات المختلفة.

ثالثاً : تحديات عولمة الاعلام وظاهرة الاختلال في تبادل المعلومات:

ان التطور التقني في ميادين الاتصال بصورة عامة وميدان البث الفضائي على وجه التحديد أثار العديد من التحديات القانونية والاجتماعية والثقافية والاعلامية.

ولكن هذه التحديات اكبر وأوسع ان يستوعبها بحثنا الذي له خصوصية الكشف عن محور تحديات عولمة الاعلام وسبل التعامل معها فأن التركيز على هذا الجانب ستكون له الاولوية قبل غيره من المحاور وقبل الخوض في التفاصيل تفترض الضرورة في اطار هذا الجزء الاجابة على عدة تساؤلات يأتي في مقدمتها , اين تكمن تحديات عولمة الاعلام ؟ بدءً لابد من القول ان العالم يشهد حالياً تحولات سريعة وكبيرة في الساحة الاتصالية اعلامياً وتقنياً وخاصة من خلال البث الفضائي الذي انبثقت عنه مئات القنوات الفضائية وما تضخه يومياً من اخبار وبرامج ذات المضامين والاتجاهات المختلفة.

واصبح التطور في صناعة الاتصالات واستخدامها معياراً حضارياً يميز بين دولة واخرى في عالمنا المعاصر كما اصبح معياراً يميز العصر الحالي من العصور السابقة . وأدى ذلك التطور الى توسيع هائل في حجم مرافق وسائل الاتصال ونشاطها والذي حصل بفضل ثلاث تطورات هي[5]:

1- نمو واتساع البنى الاساسية لوسائل الاتصال والكفاءة المتزايدة في تنظيمها وادارتها.

2- استخدام اشكال جديدة من الطاقة والاجهزة لانتاج الوسائل واستقبالها.

3- التغيير الذي طرأ على الاساليب والاشارات المستخدمة في وسائل الاتصالات بما في ذلك التطور في استخدام الاقمار الصناعية لاغراض الاتصالات التلفزيونية والاعلامية عموما.

ويمكن اعتبار استخدام أساليب نقل البيانات الرقمية اكثر هذه التطورات اهمية من الناحية التكنلوجية لانه تحولاً كاملاً في تخزين واسترجاع ونقل الرسائل الشفوية والبصرية على حد سواء والتي يمكن انتاجها بلغة الحاسبة التي حققت قفزات هائلة[6] في التطبيق والامكانيات اضافة الى ما تحقق في ميدان الاتصالات الدولية من خلال الاقمار الصناعية والتي اصبح التلفزيون الدولي في ظلها حقيقة قائمة.

هذه التطورات و خاصة في ميداني الانفجار المعلوماتي الذي تعني وفرة المعلومات

لتراكمها بشكل سريع واتاحتها للاستعمال عبر اوعية المعلومات واهمها الحاسبات الالية وثورة الاتصالات المختلفة كالهاتف والفاكس والاقمار الصناعية وشبكة المعلومات (الانترنت) التي اصبح بامكانها ان تؤدي وظائف مختلفة في آن واحد.

ويشير المتخصصون الاعلاميون أن الجانبين المشار اليهما اضافة الى توسع التجارة الدولية وما تمارسه منظمة التجارة الدولية من دور لفتح المزيد من الاسواق في العالم في اطار عولمة الاقتصاد العالمي ستؤثر على جوانب حياة الانسان الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وستعمل باتجاه بلورة شخصية جديدة للانسان. كما يخطط الى ذلك رواد العولمة ومكروجيها في الغرب هي شخصية (الانسان العالمي) , وهذا يعني تهديد الهوية الوطنية والقومية واختراق الحدود والعقول بأتجاه الوصول الى الاهداف المرسومة لذا المخطط . ولكن هل يمكن أن يتحقق كل ذلك بهذه السهولة؟ نعم يمكن القول ان سهولة الحصول على المعلومات سوف يقرب المجتمعات مع بعضها ولكن هذا لايعني أن جميع سكان العالم سيستقبلون المعلومات ذاتها بنفس الكثافة والحجم وهذا يدعونا الى الكشف عن ظاهرة الاختلال في تبادل المعلومات وخاصة في البلدان المتطورة او ما يطلق عليها بلدان الشمال وبلدان الجنوب (البلدان النامية).

فتشير المعلومات انه ما يزال هناك أربعة أخماس العالم ليس لديهم جهاز تلفزيون في وقت يتحكم ٣٥٨ مليارديز بنصف ثروة سكان العالم[8].ورغم وجود امكانية لارتفاع نسبة الذين يمكنهم الاتصال بشبكات المعلومات الالكترونية من خلال أجهزة الكومبيوتر الى اكثر من ستة ملايين مع مطلع القرن الحالي الا ان هناك العديد من مناطق العالم ما تزال محرومة من الحصول على المعلومات وخاصة في آسيا وافريقيا واضافة الى ان كل ذلك ان البلدان المصنعة والمصدرة للمعلومات تعمل بصورة مستمرة لتحجب عن البلدان المستهلكة لهذه البلدان المستهلكة لهذه المعلومات كل مستلزمات تطوير امكانياتها التقنية , ولهذا تتهرب من المساهمة في استحداث مشاريع مشتركة وحلقات متطورة في هذه البلدان التي تحاول ربطها بأتفاقيات تشجعها على استهلاك تقنياتها وليس تصنيعها في وقت يتمتع المواطنين في أمريكا الشمالية بأجهزة اتصال سلكية ولا سلكية تعادل عشرين ضعف من الاجهزة المتاحة للمواطنين في الدول المتقدمة الاخرى ويلاحظ أن وكالات ومؤسسات الانباء التابعة للولايات المتحدة الامريكية تتصدر موجة الهيمنة الثقافية والاعلامية في العالم حيث تسيطر على ٧٥% من اجمالي الاخبار المصورة و ٨٢% من انتاج المعدات الاعلامية والالكترونية[9]

وبامكان وسائل الاعلام الامريكية بث المعلومات بسرعة و بطريقة متقنة تجعلها تغرق مجالات البث المحلية للدول الاخرى نتيجة ضعف وسائلها الاعلامية فتصبح بالتالي المصدر الرئيس للانباء و المعلومات المتداولة . هذه الظاهرة تشير بما لايقبل الشك ان هناك عدم عدالة في توزيع واستخدام وتبادل المعلومات من خلال و سائل الاعلام المختلفة وخاصة فضائياً , الامر الذي يدق ناقوس الخطر في البلدان المستقبلة والمستهلكة لهذه المعلومات ويدعوها الى التعامل بحذر وجدية وفاعلية لمواكبة هذه الظاهرة ومواجهتها وعدم القبول بالامر الواقع بتطوير امكانياتها الوطنية و استحداث صيغ جديدة متطورة في عمل وسائل اتصالها و خاصة المسموعة والمرئية . وهذا يوكد ان الواقع الحالي للخريطة الاتصالية في العالم تتحكم فيه كما أسلفنا بلدان محدودة العدد و كبيرة الامكانيات التقنية والاقتصادية والاعلامية وان الخيار الاكثر جدوى ان تنهض البلدان المستقبلة والمستهلكة للبث البرامجي الوافد وما يضخه من معلومات بأمكاناتها الوطنية بشرياً وتقنياً وان تبرمج صيغ تعاملها مع هذه الظاهرة أو التحديات الاعلامية والتقنية الخارجية وهذا بالطبع لا يتحقق من دون توفير الامكانيات والمستلزمات البشرية والتقنية والاقتصادية[10].

وبذلك يمكن القول ان عملية الصراع الحضاري سوف تستمر رغم التفاوت في امكانيات هذا الصراع وان البلدان المستهلكة للمعلومات لابد ان تبحث عن خيارات تتخفف من الهيمنة المفروضة عليها من الخارج لان الانخراط في ذلك التدفق المعلوماتي الخارجي بهذه الكثافة وبتلك النوعية يفقدها بالتاكيد استقلاليتها الوطنية اعلامياً واقتصادياً وهذا الامر لا ترتضيه بهذه السهولة وبهذه الانسانية اذا كانت تمتلك مقومات الدفاع عن ذاتها وخصوصياتها الوطنية والانسانية والحضارية فالملاحظ ان توفر المعلومات بشكل مكثف عن طريق الفضائيات التلفزيونية والاذاعية والانترنت والصحف والمجلات وغيرها يسمح بتحرير ونقل قيم ومفاهيم واساليب معيشة و تفكير جديدة الى المجتمعات العالم , واصبحت للدول التي تمتلك الادوات والوسائل المعلوماتية والاعلامية القدرة على فرض ثقافتها وقيمها على الاخرين مما جعل بعض المجتمعات الغربية والشرقية والنامية على حد سواء تعمل على تحصين ثقافتها وخصوصيتها من التشويه الذي مصدره البلدان الاكثر تطوراً[11] وخاصة الولايات المتحدة الامريكية التي تتربع الهرم الدولي باتجاه تعميم نمط العولمة الذي ينسجم مع مخططها المرسوم للهيمنة على العالم.

ولكن السؤال المطروح هنا هل يمكنها ذلك؟ الحقائق تشير ان هذه الدولة تمتلك العديد

من المقومات الاقتصادية والاعلامية والتقنية والعسكرية التي تؤهلها للمضي في مخططها العولمي ولكن الطريق امامها ليس مهدداً بهذه السهولة فالقرن الحالي حتماً يشهد العديد من التطورات بهذا الاتجاه . فالاحتياجات قد تصاعدت ضد هذا المخطط حتى داخل الولايات المتحدة الامريكية ذاتها رفضا لنهج العولمة وما افرزه من احباطات في حياة الشعوب عموماً والامريكية ذاتها رفضا لنهج العولمة وما افرزه من احباطات في حياة الشعوب عموماً والامريكية والاوربية خصوصاً لكونه نظاماً ليس عادلاً ويساهم في تعميق هوة الاختلال في الموازنة الاقتصادية والاعلامية والعسكرية في العالم وتمخض عن تدخل سافر في شؤون الدول الاخرى الامر الذي اصبح يهدد الامن والسلام الدوليين ويعرضه للخطر ما لم يُصار الى اية دولية قانونية تضع حداً لتيارات العولمة المعادية لتطلعات الشعوب وحقها في التطور والاستقرار.

رابعاً : تحديات عولمة الاعلام وانعكاساتها على بلدان العالم الثالث وسبل المواجهة:

اصبح موضوع التحديات التي تصاعدت حدتها في ميدان عولمة الاعلام على أثر التطور الساحق في تصنيع وتصدير تقنيات الاتصال يثير اهتمام العديد من الباحثين والمختصين على مستوى المؤسسات او الاشخاص في العالم وخاصة في بلدان العالم الثالث لما نجم عنه من افرازات انعكست سلباً على المجتمعات التي تعرضت لتيارات العولمة على اختلافها وخاصة التيار الاعلامي والمتمثل بهذا التدفق الهائل من المعلومات والاخبار من دول الشمال الى دول الجنوب , واصبحت الاخيرة بمثابة البلدان المستقبلة والمستهلكة فقط لتلك المعلومات الامر الذي جعلها فريسة سهلة لما يمكن ان تتعرض له من تدفق معلومات من جانب واحد اذا لم تضع في حسابها الاجراءات الكفيلة بالحد من هذا التدفق وهذا ما اتضحت معالمه من خلال المحور السابق الذي سلطنا فيه الضوء على الظاهرة المشار اليها . ولكن المشكلة التي تبحث عن حل تكمن في التحدي الاعلامي الذي بات يطرق الابواب في بلدان عديدة والمتجسدفي ظاهرة البث الفضائي المباشر وهو عندما لاتستطيع البلدان المستقبلة ان تغلق حدودها او ابوابها أمامه لانه يعني الغاء لكل انواع الرقابة الاعلامية والتي يصبح فيها دور المحطات الارضية شبه ملغياً عندما يصل البث مباشرة من القمر الصناعي الى محطة التلفزيون او اجهزة الاستقبال المنزلية هذا الانجاز العلمي اصبح حقيقة واقعة في اوربا وامريكا وهو يزحف الى بلدان اخرى.

والسنين المقبلة سيشهد حتماً انتشار ظاهرة البث الفضائي المباشر على نطاق اوسع وأشمل وان انتشار مئات القنوات الفضائية في البلدان النامية وخاصة العربية يعني الكثير من المتغيرات الاعلامية التي اصبح فيها الدور التقليدي لمحطات الاذاعة والتلفزيون شبه ثانوي تقليدي . هذا التحدي الاعلامي الكبير والخطير الذي يحمل في ثناياه العديد من المتغيرات والتطورات يحتم على البلدان المستقبلة ان تتحصن ضده بقدرات وامكانات تواكب الظاهرة الجديدة وهي عولمة الاعلام وما يمكن ان تنجم عنها من انعكاسات وافرازات ثقافية وتربوية واجتماعية وغيرها قد يكون لها ابعادها السلبية في حياة المجتمعات التي تتعرض لها , خاصة قد طرأت تغييرات شاملة على نظم تكنلوجيا الاتصال وعلى الاخص في مجال الاعلام المرئي والمسموع في كل من اوربا الغربية والولايات المتحدة الامريكية مما ادى الى احتدام الحوار حول الادوار الجديدة للاعلام[12] . سواء في المجالات السياسية او الثقافية او الاجتماعية ولعل أخطر هذه الادوار ما يقوم به الاعلام في تشكيل انماط معينة من السلوك الانساني وتهميش انماط اخرى من خلال لغة الصورة ورموزها هذه الادوار الجديدة واهميتها قد ادركتها الحكومات في دول الشمال الصناعي والتي يمكن ان تقوم بها وسائل الاعلام لقياس كفاءة الاداء السياسي والاقتصادي للنظم المعاصرة[13].

وهذا بدوره يشكل تحدياً اعلامياً لابد ان تواجهه دول الجنوب المستقبلة والمستهلكة للمعلومات والبرامج بكل ما تمتلكه من امكانات وخطط طموحة للنهوض بواقعها البرامجي الاذاعي والتلفزيوني خاصة بعد ان أصبحت الدول الغربية المحتكرة لتكنلوجيا المعلومات تتحكم في تصنيعها وقنوات توزيعها ومناطق بثها من خلال الاقمار الصناعية وهذا بدوره يشكل تحدياً اعلامياً وتقنياً لابد من معالجته , وعلى وفق هذه المعطيات والمتغيرات اصبح موضوع استقبال البث التلفزيوني الاجنبي فضائياً يثير اهتمام الباحثين الاعلاميين والخبراء والمشرفين على محطات التلفزيون وخاصة العقد الاخير من القرن العشرين الذي تضاعفت فيه عدد القنوات الفضائية الوافدة بشكل سريع وامتدت الى مساحات تجاوزت الحدود حتى وصل بثها اليومي الى (٢٤ ساعة) تقدم خلالها نماذج مختلفة من البرامج ما بين الترفيه والتثقيف والاعلام . والقضية الاخرى التي اثارت اهتمام المختصين والمخططين في ميدان البث التلفزيوني في البلدان المستقبلة للبث الفضائي هي الكيفية التي يتم بها التعامل مع البرامج الوافدة خاصة التي تنتجها شركات تجارية والتي تعتمد على حصيلة بيع الاعلانات من سلع متداولة في الغرب وتعتمد برامجها غالباً على ما تنتجه الهيئات الرسمية او غير

الرسمية او شـــركات الانتاج التلفزيوني الخاص والتي غالبـــاً ما يطغي على انتاجها افلام وبـــرامج العنف والجنس الرخيص اضافة الى الاعلان عن البـــضائع غير متداولة او غير المرغوب في تداولها في المنطقة العربية.

لكن المشكلة القائمة حالياً والتي يمكن ان تزداد تفاقماً لاحقـــاً عندما يصبـــح البـــث البرامجي الفضائي مباشراً ومتاحاً امام الجميع وليس حكراً على البلدان المتطورة فقط.

فالتطورات التقنية الفضائية في الغرب سريعة وهائلة والتطور الذي انجز بهذا الشأن تزويد القمر الصناعي بمعامل نووية صغيرة تزود القمر الصناعي بطاقة كهربائية ومستمرة التوصيل الاشارة المنطقة من القمر الى المنزل وتحقق البث المباشر على شاشات التلفزيون للمشاهدين دون الحاجة الى المرور بالمحطات الارضية التي يمكن عن طريقها التحـــكم في الارسال والاستقبال والسيطرة على البرامج التي يراد عرضها على الناس[14].

فالتطور التكنلوجي في مجال الارسال والاستقبال الفضائي يتجه الى زيادة جهاز قوة بث الاقمار وبالتالي تصغير حجم معدات الاستقبال العادي نفســـه فيتســـاوى عندئذ الراديو والتلفزيون.

وتنتفي الحاجة هنا الى فرض أي قيود على عملية البـــث البـــرامجي التلفزيوني من خلال الاقمار الصناعية[15] . وهنا يبـــرز دور المخططين للنهوض بـــهذه العملية في الاتجاه الايجابي فقد اصبحت برامج التلفزيون بانواعها المختلفة تشكل التحدي الحقيقي الذي يواجه التلفزيون في عصر البـــث الفضائي والمعلومات لانها تمثل عنصر الجذب الأول للمشـــاهد وهي المجال الطبيعي و الخصب الذي تلتقي من خلاله المحطة التلفزيونية مع جمهورها ومع رغباتهم واحتياجاتهم, فالتلفزيون يعتبر احدى وســـائل النظام الاعلامي وهو عامل تأثير في المجتمع[16] , وخاصة في ظل البث الفضائي الوافد الامر الذي اصبح يشكل تحدياً للقيم السائدة في المجتمعات النامية و التي بضمنها الاقطار العربية , هذا التحدي الاعلامي ماذا يستوجب من اجراءات ويتطلب من استعدادات يحتمها هذا الواقع على البلدان المستقبلة والتي اصبحت في وضع لاتحسد عليه أمام عملية الاختراق التي تشكلها ظاهرة عولمة الاعلام وخاصة من خلال البث الفضائي باعتباره الحلقة الاكثر تطوراً والاسرع وصولاً الى الجمهور المستهدف ؟ ومن اجل الوصول الى معالجات مجدية لا تعني بالضرورة الحلول الجذرية لهذه المشـــكلة خاصة عندما أخذ البث الفضائي المباشر طريقه الى اجهزة الاستقبـــال المنزلية دون المرور بالمحـــطات الارضية او الخضوع الى أية اجهزة رقابـــية اخرى يمكن الركون الى عدد من

الاجراءات او الخيارات لمواجهة هذه التحديات والتعامل معها بطريقة مرنة وواعية وهادفة سبق ان شخصها عدد من الباحثين في الاعلام المسموع والمرئي في مناسبات مختلفة ومن خلال ما يأتي:

1- اعتماد صيغ متطورة من التعامل الهندسي لمواجهة هذه التحديات اضافة الى تطور فاعلية الانتاج الثقافي والفني المتميز القادر على المنافسة وتوطيد العلاقة مع مخططات وقنوات التلفزيونية الشقيقة والصديقة من خلال آلية للتبادل والتعاون في الميدان البرامجي.

2- الاستفادة من امكانات القمر الصناعي العربي " عربسات " في التبادل البرامج المتميزة وتبادل المعلومات.

3- تطوير الانتاج البرامجي الوطني كماً ونوعاً وخاصة في ميدان الاخبار والدراما والبرامج الحية وتقليل اسلوب الطرح المباشر في البرامج التلفزيونية.

4- المباشرة في استحداث القنوات الفضائية التلفزيونية التي تغطي في بثها مناطق اوربية وامريكية تنطلق من المنطقة العربية وبلدان العالم الثالث وتنويع بثها البرامجي بما يستجيب لاهتمامات المشاهدين.

5- تطوير امكانيات الكوادر الاعلامية الوطنية وزخمها في تجارب ودورات ميدانية لمواكبة آخر التطورات في ميدان التقنيات الاذاعية والتلفزيونية اضافة الى مواكبة التطور العالمي في ميدان التقنيات الفضائية.

خامساً: الخاتمة:

اتضح من مجريات البحث ومعالجته التوصل الى عدد من المؤشرات يمكن ادراجها على وفق السياق الاتي:

1- ان تحديات عولمة الاعلام تكمن في تفاقم ظاهرة التدفق الهائل من المعلومات من خلال القنوات الفضائية التي ترافق معها تصدير الافكار والافلام والبرامج الاخبارية والثقافية والدولية الامر الذي اصبح يشكل تحديا على البلدان المستقبلة والمستهلكة لهذه المعلومات التي تتحكم فيها بلدان محدودة العدد وكبيرة الامكانات تتولى عملية تصنيعها وتوزيعها مما احدث ارباكاً واخلالاً في الموازنة الاعلامية بين البلدان المتطورة والنامية.

2- لوحظ ان الواقع الحالي للخريطة الاتصالية في العالم تتحكم فيه البلدان المتطورة

التي دأبت على تصدير افكارها وثقافتها وقيمها الى الاخرين في اطار المخطط المرسوم لعولمة الاعلام التي تمخض عنها العديد من الافرازات والانعكاسات السلبية في حياة المجتمعات التي تتعرض لها.

3- عمدت البلدان التي تتعرض لتحديات عولمة الاعلام الى اتخاذ العديد من الخيارات للحد من هذه التحديات يأتي في مقدمتها استخدام صيغ متطورة هندسياً وبرامجياً وتخطيطاً للمواجهة من خلال النهوض بواقعها البرامجي شكلاً ومضموناً.

المصـــادر

1-د. مظفر مندوب . محاضرات في العولمة والمعلوماتية , مرحلة الدكتوراه , السنة التحضيرية , مطبوعة بالرونيو , ١٩٩٩ , بغداد , كلية الاداب , قسم الاعلام , ص٤.

2- المصدر السابق , ص٣.

3- د.مظفر مندوب . البث الفضائي الوافد و تحدياته الاعلامية لبدان العالم الثالث , بحث غير مطبوع , ١٩٩٩ , ص٣.

4- محمد عابد الجابري . العولمة والهوية الثقافية , عشر اطروحات , بحوث ومناقشات الندوة الفكرية / العرب و العولمة / التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية , بيروت , ١٩٩٨ , ص٣٠٠.

5- د.ياس خضير البياتي . الاعلام الدولي العربي , دار الكتب للطباعة و النشر , بغداد , ١٩٩٣ , ص٤١.

6- شون ماكبرايد وآخرين . اصوات متعددة و عالم واحد , اليونسكو , الشركة الوطنية للنشر والتوزيع , الجزائر , ١٩٨١ , ص١٥٣-١٥٤.

7- عبد الغني عبد الغفور . العولمة - ملاحظات سياسية , المكتبة الوطنية , بغداد , ١٩٩٨ , ص٧.

8- هانس بيتر مارتين , هارولد شومان . فخ العولمة , سلسلة عالم المعرفة (٢٣٨) , الكويت , ١٩٩٨ , ص١١٠.

9- د. مظفر مندوب . المحطات الاذاعية والتلفزيونية , محاضرات في مرحلة الدكتوراه , مطبوعة بالرونيو , ٢٠٠٢, ص١١.

10- المصدر السابق , ص٢.
11- محاضرات العولمة و المعلوماتية , مصدر سابق , ص٨.
12- د. مظفر مندوب . التخطيط التلفزيوني في العراق وسبل التعامل مع التحديات الفضائية , نسخة مقدمة الى المؤتمر القــطري الأول للاعلام , كلية الاداب , قســم الاعلام , ٢٠٠١ , ص٨.
13- عواطف عبد الرحمن . حرية الاعلام المعاصر وتحديات العولمة , مجلة الدراســات الاعلامية , المركز العربي الاقليمي للدراسات الاعلامية للسكان والتنمية والبيئة , القاهرة , العدد٩٣, ص٧٣.
14- ابراهيم امام . كيف نتصدى لطوفان البث التلفزيوني المباشر , مجلة تلفزيون الخليج , العدد ٣ , ١٩٨٨, ص٣٦٨.
15- سعد لبيب , نحو سياسة تلفزيونية جديدة لمواجهة تحديات القنوات الفضائية الاجنبــية مجلة اتحاد الاذاعات العربية , القاهرة , العدد٣ , ١٩٩٦ , ص٧.
16- د. هادي الهيتي . اتصالات الفضاء و احتمالات تأثيرها على الاسرة العربية , نشــرة فكرية اعلامية توثيقية , تصدرها المنظمة العربية للاسرة , عدد٢, ١٩٩٤ , ص١٦٦.